الفصل الأول

تكون المجتمع العبرى فى مصر
في عهد الهكسوس
ثم خروجهم من مصر في عهد الرعامسة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تكون المجتمع العبرى فى مصر
فى عهد الهكسوس
ثم خروجهم من مصر في عهد الرعامسة

بدأ تاريخ بنى إسرائيل فى مصر فى عهد الهكسوس عندما دخل يوسف عليه السلام إلى البلاد كعبد رقيق، باعة تجار الرقيق إلى الوزير الأول فى دولة الهكسوس والمسمى فوطيفار، وقد ورد اسم يوسف فى القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة، خمسة وعشرون منها فى سورة يوسف وحدها، كذلك ورد اسم يوسف فى التوراة فى (إصحاحات ٢٧، ٤٨ تكوين) وقصة يوسف معروفة جيدا حيث دبر له إخوته مؤامرة وألقوه فى قاع جب للماء فى الصحراء، ثم ادعوا أمام أبيهم أنهم تركوه عند متاعهم أثناء تجوالهم لرعى الغنم، ولما رجعوا إليه وجدوا أن الذئب قد أكله، وحينما التقطه من الجب ساقى إحدى القوافل التجارية التى كانت تتردد بين مصر والشام، باعوه بعد ذلك إلى وزير الهكسوس الأول (رئيس الوزراء)، وكان عمر يوسف عندما حضر الى مصر ١٥ سنة، وقد وقعت هذه الحادثة عام ١٥٠٠ ق.م*

وكان ملك الهكسوس حينئذ هو الملك خيان أحد ملوك الأسرة السادسة عشر، وأمر الوزير فوطيفار زوجته أن تعتنى بيوسف وتكرمه، فعاملته معاملة الأم لولدها حيث أنها كانت عاقرا لم تنجب أبناء، ولما بلغ يوسف أشده وكان عمره آنذاك ٣٥ عاما، آتاه الله الحكمة وخصه بتأويل الأحاديث، فأمر الملك بترقيته إلى رتبة نائب للوزير الأول، ثم حدث ما حدّث به القرآن الكريم من محاولة إمرأة الوزير- أو العزيز- كما كان يلقب وقتئذ- غواية يوسف إلى إرتكاب الفاحشة معها، ورفض يوسف ذلك وإعتصم منها بإيمانه بالله الواحد الأحد، ثم دخول يوسف بعد هذه الحادثة إلى السجن بتوجيه من هذه المرأة درءاً للفضيحة، ومكوثه فى السجن تسع سنين كان فيها مركزا لثقة زملائه المساجين وداعيا بينهم إلى الإيمان بالله ونبذ

* كتاب قصص الأنبياء. د. رشدى البدراوى- الجزء الثانى.

عبادة الأصنام، ثم الإفراج عنه بعد تأويله لرؤيا الملك وثبوت براءته من التهمة التى ألصقتها به المرأة وإعترافها بذلك، ثم توليه بأمر من الملك بعد ذلك منصب الوزير الأول ووزير الزراعة والتموين، ثم ما تلا ذلك من زيادة فيضان نهر النيل سبع سنين متتالية غمر فيها الأراضى الزراعية وزاد فيها الخير، فأمر يوسف عليه السلام الشعب بإدخار ما يفيض عن حاجته من محصول القمح وتخزينه فى مستودعات ضخمة أمر هو ببنائها حتى يستفاد منه فى السنين السبع العجاف التالية التى تنبأ بحدوثها بعد تفسيره لرؤيا الملك، وفعلا حل الجفاف بمصر سبع سنوات متتالية. تدهورت فيها غلة الأرض من الحاصلات ومنها القمح، ويبدو أن هذا الجفاف كان عاما فى منطقة الشرق الأدنى، حيث عانت فلسطين هى الأخرى من الجفاف، لهذا كانت القوافل تأتى إلى مصر من الأقطار الآسيوية المجاورة طلبا للتزود بالقمح المصرى ونقله إلى المستهلكين فى تلك البلاد، ثم ما حدث من حضور إخوة يوسف الأحد عشر الى مصر فى قافلة لابتياع القمح وتعرف يوسف عليهم، وهى قصة معروفة ذكرها القرآن الكريم بالتفصيل، وفى نهايتها حضرت إلى مصر أسرة يوسف كلها ومعهم أبوه نبى الله يعقوب عليه السلام واستقروا فيها، وكان عددهم سبعون نفسا وهم أبناء يعقوب الأحد عشر وزوجته ليئة خاله يوسف وأبناء اخوته.

*** إستقرار بنو إسرائيل في شرقي الدلتا وتكون أول مجتمع عبري:-**

إستأذن يوسف عليه السلام الملك فى اسكان أفراد أسرته فى مصر، وكانوا قوما من الرعاة، فأذن لهم الملك بالإستقرار فى منطقة تسمى جاسان شرقى الدلتا، وهى منطقة كان يكثر بها العشب الصالح للرعى، ومكانها الآن محافظة الإسماعيلية، وتكاثر بنو إسرائيل فى مصر وكونوا تجمعا كبيرا حتى بلغ عددهم عند الخروج كما تقول التوراه ستمائة ألف – وهو رقم مبالغ فيه إلى حد كبير– مقسمين الى ١٢ قبيلة أو سبط، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ *(الأعراف ١٦٠)*، وعاش يعقوب (الذى سمى إسرائيل) فى مصر سبعة عشرة سنة ثم مات فى عمر يناهز ١٤٧ عاما، وقبل مماته، جمع يعقوب عليه السلام بنيه وأوصاهم بعبادة الله وحده على ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة- ١٣٣) .

*** تأثر بني إسرائيل بالديانة المصرية وإنحرافهم عن ديانة التوحيد:-**

بعد موت يوسف عليه السلام، تكاثر بنو إسرائيل فى أرض جاسان، وكونوا مجتمعا كبيرا مغلقا وعاشوا منعزلين فى هذه المنطقة من أرض مصر مثل عادتهم إلى اليوم فى كل مكان يحلون به من بلاد الدنيا، أن يتجمعوا ويعيشوا فى مناطق منعزلة خاصة بهم تسمى الجيتو، وبعد طول إقامتهم فى مصر، إستهوتهم عبادة بعض الآلهة المصرية، وكانوا أشد ميلا لعبادة العجل أبيس معبود الدلتا، وقد حدد الكهنة المصريون علامات معينة يولد بها هذا النوع من العجول، فكان بنوا إسرائيل إذا ولدت لهم ماشيتهم مثل هذا العجل يرعونه ويقدسونه ويعبدونه، ثم يبيعونه للمصريين بأثمان باهظة، وعاش بنو إسرائيل فى مصر فى رغد من العيش فى ظل حكم الهكسوس، وكثرت أموالهم وزاد ثراؤهم، وكان الهكسوس ينظرون إليهم كحلفاء لهم لأنهم أسيويون، ورعاة مثلهم، بعكس المصريين الذين كانوا يرون أنهم أولياء للهكسوس الأعداء الذين احتلوا مصر وحكموها وسلبوها استقلالها ونهبوا خيراتها وأذلوا أهلها.

بنو إسرائيل في مصر بعد طرد الهكسوس منها:-

بقى بنو إسرائيل فى مصر بعد طرد الهكسوس منها فى عهد الأسرة ١٧ ، ولكن المصريين كانوا دائما يخشون خيانتهم وغدرهم، وتعاونهم مع فلول الهكسوس الذين فروا إلى فلسطين ويتطلعون إلى إعادة إحتلال مصر، لهذا كان أحمس (الفرعون الذى طرد الهكسوس) يراقب بنى إسرائيل بحذر شديد ويدس عيونه بينهم خوفا من خيانتهم، ثم عزل الملوك الفراعنة الذين حكموا مصر بعد أحمس المنطقة التى كان يعيش فيها بنو إسرائيل وضيقوا عليهم الخناق، وسخروهم فى القيام بالأعمال الشاقة مثل ضرب الطوب اللازم لبناء المدن فى الدلتا وحمل الأحجار والأثقال، واستمر الحال هكذا حتى عهد رمسيس الثانى، وكان نفر من بنى اسرائيل قد خرجوا مع الهكسوس عند خروجهم من مصر وإستقروا فى بلاد الشام، وأطلق

عليهم المصريون كلمة (عابيروا)، وفى عهد رمسيس الثانى قاد هذا الفرعون جيشاً ضخماً ذهب به لغزو أرض الشام، وكانت حينئذ تحت حكم الملك خيتا ملك الحيثيين، وبعد وصوله إلى هناك وقبل بدء معركة قادش الشهيرة، دخل معسكر رمسيس إثنان من البدو العابيرو، وإدعيا أنهما مندوبان عن رجال القبائل التى تسكن تلك المنطقة، وأنهما حضرا لدعوة رمسيس لعمل حلف مشترك مع هذه القبائل لطرد الحيثيين من الشام، وأدليا بمعلومات مزيفة عن جيش الحيثيين وأماكن تواجده، فصدقهما المصريون، وعندما بدأت المعركة، تبين أن هذه المعلومات كانت مزيفة، وكادت تلحق بالمصريين هزيمة ساحقة، لولا شجاعة رمسيس وحنكته الحربية وجرأته والتفافه من الخلف حول جيوش الأعداء وهزيمتهم، وأثرت هذه الخديعة تأثيرا شديداً فى نفس رمسيس الثانى وأمر بالقبض على هذين الجاسوسين وتعذيبهما ثم إعدامهما، وعندما عاد إلى مصر، صمم على الانتقام من بنى اسرائيل لكونهم من نفس جنس العابيرو (العبريين) فضيق الخناق عليهم وأمعن فى إضطهادهم وقتل الذكور من مواليدهم وترك الإناث، ثم حدث ما كان عند ولادة موسى عليه السلام من خوف أمه عليه من بطش رجال فرعون، فأوحى الله إليها أن تضعه فى تابوت خشبى وتلقى به فى مياه النيل، وعند رسو التابوت على شاطىء النيل الذى يطل عليه قصر رمسيس، رأته زوجة رمسيس الملكة «إست نفر»، وأمرت جواريها بإحضاره، وقصر فرعون هذا كان يوجد فى العاصمة الجديدة التى بناها رمسيس على النيل فى شرقى الدلتا وسماها «برعمسيس»، وعندما فتحت الملكة التابوت وجدت بداخله طفلا جميلا هو موسى عليه السلام، فألقى الله محبته فى قلبها، وقررت أن تتوسل إلى رمسيس الثانى ألا يقتله لتتخذ منه ولدا لها خصوصا وأنها لم تنجب من رمسيس وقد مضى على زواجها سبع سنوات، وحقق رمسيس هذه الرغبة، وتربى موسى فى قصر فرعون تربية الأمراء، وعندما شب أرسله فرعون إلى معهد أون (عين شمس) ليتلقى فيه العلم مع أبناء الأمراء والكهنة، وكان هذا المعهد مشهورا فى ذلك العصر بتدريس علوم اللغة المصرية والكتابة والحكمة والفلسفة والتشريح والتحنيط والرسم والنحت، وفيه نبغ موسى فى هذه العلوم، ويقول القرآن الكريم ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ *(القصص ١٤)*.

ويعتبر رمسيس الثانى الذى ربى موسى عليه السلام من أعظم الفراعنة وأطولهم عمرا، وطالت مدة حكمه حتى بلغت ٦٧ عاما، ونال شهرة كبيرة عند تصديه للحيثيين وهم أكبر قوة عسكرية فى عصره، وإستطاع رمسيس أن يهزمهم وينتزع منهم بلاد الشام وجزءاً من بلاد ما بين الرافدين (العراق)، ودانت له الشعوب الآسيوية المجاورة بالولاء والطاعة، لذلك كان من أكثر الفراعنة إعتدادا بذاته وفخرا بنفسه وبأعماله، وكانت العاصمة الجديدة التى بناها فى شرق الدلتا وسماها (بررعمسيس) أى دار رمسيس من أهم عواصم الشرق الأدنى القديم، وأقام رمسيس عددا كبيرا من المعابد فى طول البلاد وعرضها من بلاد النوبة فى الجنوب حتى حدود فلسطين. وأقام لنفسه عددا كبيرا من التماثيل لم تكن أبدا لفرعون من قبله، كما شيد عدداً ضخماً من المسلات التى بلغ ماشيده منها عشرة أمثال ما شيده جميع الفراعنة من قبله، وكان هذا من أسباب صلفه وغروره، وزاده غرورا ما قرره الفلكيون فى عهده من حسابات فلكية تدعى أن إقتران ظهور النجم الذى يحدد قدوم فيضان النيل مع الكواكب التى تحدد بدء السنة المصرية وبداية السنة الزراعية أمر لا يحدث إلا مرة واحدة كل ١٤٦١ سنة، وأن هذا الإقتران الثلاثى ينبىء عن حدث مهم سوف يحدث على الأرض، وكان رمسيس الثانى كثيرا ما يفتخر بأن هذا الإقتران قد حدث فى سنة ١٣١٧ ق. م. وهى السنة التى ولد فيها، وأن فيضان النيل فى العام الذى سبق مولده كان وافرا وغزيرا غمر البلاد بالرخاء وملأ البيوت بالحبوب وعمت البهجة القلوب، كذلك سجل رمسيس إفتخاره بأنه ولد من الإله آمون نفسه الذى تقمص جسد سيتى الأول والده فأنجبه من الملكة تويا والدته، هذا مما دفع رمسيس الثانى الى الاعلان بأنه إله وابن إله، وحمل الناس بالقوة على تصديق هذا الزعم، وقد شارك رمسيس أباه فى الحكم منذ أن كان طفلا، وفاخر رمسيس بأنه توج فرعونا فى حضرة والده الفرعون سيتى الأول، وكان تتويجه على يد الإله آمون (والده الحقيقى) فى مدينة القرنة، ثم توج ثانيا فى مدينة هليوبوليس على يد الإله «أتوم»، وأمر رمسيس بنقش نص على جدران معبد سيتى الأول يقول «رفع من شأنى رب الكون نفسه (أى الإله رع) منذ كنت طفلا حتى أصبحت ملكا، منحنى الأرض وأنا مازلت فى البيضة، وقبل العظماء التراب أمام وجهى، ثم عينت بصفتى الابن العزيز لآمون أميرا وراثيا على العرش، وأنا طفل صغير، وكنت أقدم التقارير عن حالة الأرضين بوصفى قائدا للمشاة

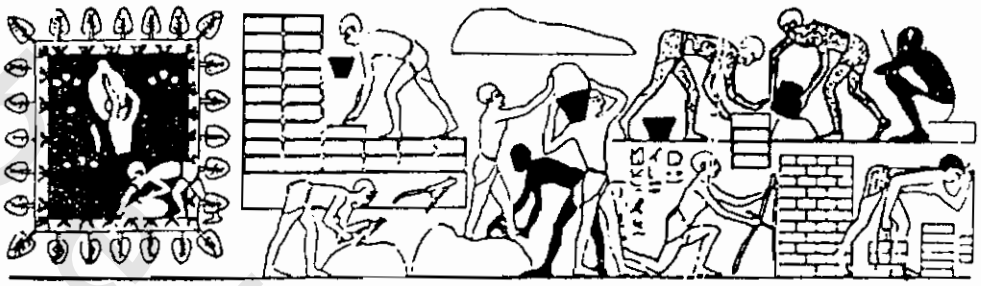

شـــكل (١) تسخير العبريين فى ضرب الطوب وأعمال البناء لاحظ أن العمال ذوى البشرة البيضاء هم العبريون.
ملاحظة العامل المصرى ذو اللون الأسمر والذى يمسك عصا يده يجلس فى أقصى اليمين (الملاحظ) وهناك مصريان أخرين ذوى بشرة سمراء يشرفان على تنفيذ العمل (لوحة فى مقبرة الوزير «رخ مى رع» (عن وانر كيللر)

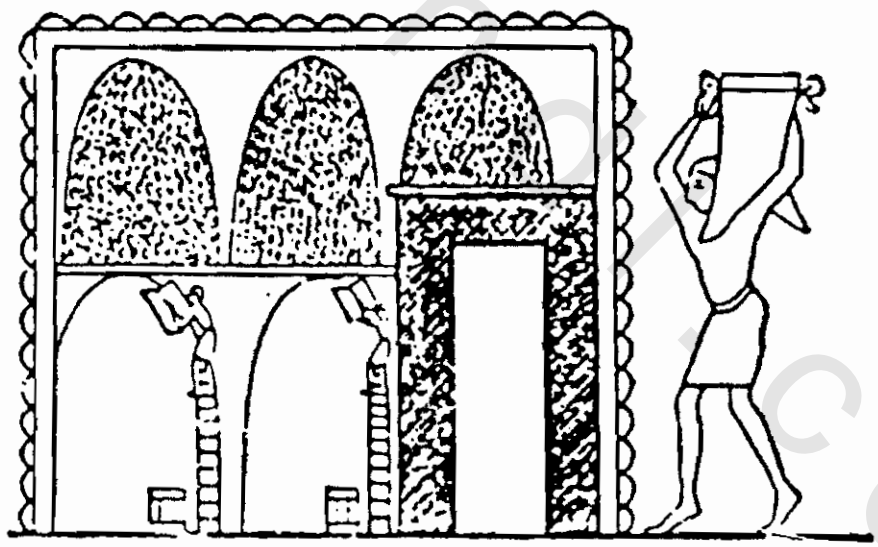

شـــكل (٢) أحد العمال العبريين يحمل غرارة حبوب على كتفه، وفى الداخل أحد العمال يصعد السلم ليفرغ الغراره فى الصومعة المفتوحة من أعلى- الصومعة فى مدينة الصوامع فينوم (عن وارنر كيللر)

والعجلات، ولما كان أبى سيتى الأول فى قمة مجده وكنت طفلا، قال أمام شعبه، توجوه ملكا حتى أشهد بهاءه وأنا على قيد الحياة».

مما سبق يتبين أن موسى عليه السلام تربى وعاش فى قصر هذا الفرعون المستبد المتأله، المغرور بقوته وغناه وخضوع البلاد والشعوب الموجودة فى منطقة الشرق الأدنى لحكمه الذى طال حتى بلغ ٦٧ عاما، وكان رمسيس الثانى ينظر إلى بنى إسرائيل الموجودين فى شرق الدلتا على أنهم عبيد جاء بهم الهكسوس فى أثناء إحتلالهم لمصر وتركوهم وراءهم بعد هزيمتهم ورحيلهم من البلاد لتفاهة شأنهم، ومما زاد من كراهية رمسيس لبنى إسرائيل خيانة إثنين من بدو العابيرو له فى الشام أثناء قيامه بغزو لبنان حتى كاد جيشه أن ينهزم بسبب هذه الخيانة، لذلك كرر بعد عودته إلى مصر أن يسوم جنس العابيرو (العبرانيين) الموجودين فى مصر سوء العذاب، وأخذ يسخرهم فى الأعمال الشاقة، ثم أمر بقتل ذكورهم وإستبقاء نسائهم، زيادة فى إذلالهم، وكان من العجيب أن يتولى هذا الفرعون تربية موسى عليه السلام بنفسه رغم علمه بأنه من بنى إسرائيل، فتلك حكمة الله وتقديره.

* وقوع حادثة مثيرة أوغرت صدر فرعون وحاشيته علي موسي:-

وقعت هذه الحادثة يوم عيد الحصاد، وهو من أهم أعياد المصريين القدامى، وفى هذا اليوم كان الإحتفال يبدأ بموكب عظيم من الأمراء وسادة القوم يتقدمه الكهنة ويسير الموكب حتى يصل الى قصر فرعون، ويتجمع فى ساحة الاحتفالات الكبرى كبار رجال الدولة، وتتجمع جماهير الشعب الغفيرة فى الساحة للفرجة على الإحتفال، وكان أربعة من الكهنة فى هذا الإحتفال يحملون تمثالا للإله (مين) إله الحصاد، والخصب، وهو منصوب على منصة لها أربعة قوائم ترمز إلى أولاد الإله حورس الأربعة، ثم تطلق أربعة من الحمائم البيضاء تطير فى الأركان الأربعة للبلاد تحمل معها الخصب والنماء، ويسير فى مقدمة الموكب أيضا ثور أبيض مع عدد من رجالات الدولة يحملون لافتات من قماش الكتان مكتوب عليها ألقاب الفرعون، وعدد آخر من الكهنة يحملون لفائف من الخس الأبيض وهو النبات المقدس الذى يعشقه الإله مين، كانت مدينة رعمسيس، العاصمة تكاد تخلو فى هذا اليوم من الناس الذين يتوجهون جميعا الى هذا الإحتفال، وكان موسى بالطبع لا يشارك فى هذا اليوم المصبوغ

بالوثنية والضلال ودخل موسى المدينة وهى شبه خالية من سكانها، فوجد فيها رجلين يقتتلان، أحدهما إسرائيلى والآخر مصرى، فاستغاث الإسرائيلى بموسى لينصره على غريمه، فلكم موسى المصرى بقبضة يده فمات المصرى لتوه، وكان موسى معروفا بالقوة وشدة البأس، ولكنه لم يكن يقصد من تدخله هذا قتل المصرى، لذلك ندم على ذلك ندما شديدا، وفى اليوم التالى مباشرة رأى موسى نفس الرجل الإسرائيلى يتعارك مع مصرى آخر، وتكرر المشهد السابق ودعا الإسرائيلى موسى للتدخل، ولكن موسى أدرك أن هذا الإسرائيلى رجل مشاغب دائم العراك، فأراد أن يلقنه درسا فى الأدب، لكن الإسرائيلى صاح بالناس قائلا هذا الرجل يريد قتلى كما قتل مصريا بالأمس، وهنا أدرك موسى خطأه، فى مناصرة الإسرائيلى وطلب من ربه المغفرة، وتقول التوراة أن الشخصين اللذين كانا يتعاركان فى اليوم الثانى كانا من بنى إسرائيل «**ثم خرج فى اليوم التالى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان، قال للمذنب لماذا تضرب صاحبك؟ فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا، أتقتلنى اليوم كما قتلت مصريا بالأمس؟ فخاف موسى وقال حقا قد عرف الأمر، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى**» *(إصحاح ٢- خروج)*. والصحيح هو ما ذكره القرآن الكريم من أن العراك كان بين إسرائيلى الأمس ومصرى آخر، إذ قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾ *(سورة القصص ١٩)*، ثم جاء رجل من أقصى المدينة حيث البلاط الملكى وأخبر موسى أن فرعون قد أصدر أمرا باعتقاله، فخرج موسى مسرعا من المدينة هربا من بطش فرعون، وأسرع فى السير حتى وصل إلى أرض مدين قرب مدينة العقبة فى سيناء، وكان ما كان من مقابلة موسى لبنتى نبى الله شعيب عليه السلام عند ماء مدين، ثم إستضافه شعيب له وإستئجاره إياه للعمل فى رعى غنم شعيب، ثم زواج موسى من بنت شعيب بعد أن دفع مهرها بعمله فى رعى غنم شعيب لمدة سبع سنين.

رجوع موسي الى مصر

بعد قضاء موسى لعشر سنين فى ارض مدين، قرر إصتحاب زوجته والرحيل بها للعيش فى مكان آخر، وكانت الزوجة حاملا، وكان ما هو معروف من رؤية موسى لنار تغشى

شجرة فى الوادى المقدس طوى، وعندما جاءها كلمة الله سبحانه وتعالى وأمره أن يتجه إلى مصر ويذهب إلى فرعون ليرده عن ظلمه وجبروته ووثنيته ويهديه إلى عبادته سبحانه وتعالى وحده دون أن يشرك به أحدا، ثم يطلب من فرعون الكف عن إيذاء بنى إسرائيل واضطهادهم، واستشعر موسى مدى عظم هذه المهمة وعدم قدرته وحده على مجابهة فرعون، خصوصا وأنه متهم بقتل مصرى، فضلا عن عدم فصاحة لسانه وتلعثمه عندما يتكلم، لذلك طلب من الله سبحانه وتعالى أن يشرك معه فى هذه المهمة أخيه هارون فهو أفصح منه لسانا ولاسيما وأنه سوف يكون رسولا إلى أعظم طاغية فى عصره، وصاحب أكبر قوة مادية وعسكرية فى العالم فى ذلك الوقت، وطلب موسى من ربه أن يشرح له صدره ويعينه فى هذه المهمة، فأجابه الله تعالى إلى طلبه ووافق على إشراك هارون معه فى هذه المهمة الصعبة، وطمأنه بأنه سوف يكون معهما دائما ولن يتركهما وحدهما أمام هذا الطاغية المتأله، وسوف يؤيده بالمعجزات المبهرة التى يعجز أن يأتى بمثلها أى كاهن أو ساحر.

لقاء موسي وهارون بفرعون

بعد عودة موسى عليه السلام إلى مصر، إنضم إليه أخوه هارون بوحى من الله تعالى، وتوجها أولا إلى قومهما بنى إسرائيل، وأخبراهم بتكليف الله تعالى لهما بتوصيل رسالة التوحيد إلى فرعون، فتخوف القوم من تلك المهمة، وكانوا قد تعودوا على الذل واستعذبوه، وانحرفوا عن ملة أبيهم إبراهيم وقدسوا بعض آلهة المصريين مثل العجل أبيس، لذلك كانت مهمة موسى الاولى هى حث قومه على العودة إلى دين أبيهم إبراهيم الحنيف، والإيمان بأن الله أقوى من فرعون وقوى الشر فى الأرض جميعا، وأخبرهم بأن الله قد وعده بالنصر على فرعون، وأنه سوف يكافئهم إذا صبروا ويخرجهم من أرض الذل فى مصر إلى أرض الحرية والكرامة أرض كنعان التى تفيض لبنا وعسلا، وسوف يكونون لهم دولة خاصة بهم فيها، دولة حرة تحكم بشريعة الله ويسود فيها العدل، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ *(سورة ابراهيم ٥)* وبعد لقاء موسى بقومه، ذهب مع أخيه لمقابلة فرعون مصر

رمسيس الثانى، وفى هذا اليوم، كان فرعون يحتفل بالعيد الثلاثينى الحادى عشر لجلوسه على كرسى الملك، أى أنه كان يحتفل بمرور ٦١ عاما على بداية حكمه، وكان عمره آنذاك ٨٤ عاما (كان ذلك فى عام ١٢٣٢ ق.م)، وكان يحتفل بهذا العيد كل ٣ سنوات من حكم فرعون، وكان عمر موسى وقتئذ ٥٥ عاما، وفاجأ موسى فرعون فى أثناء هذا الإحتفال المهيب، وفى حضور جمع كبير من الأمراء والنبلاء وعلية القوم، والكهنة، وأعلنه موسى بالدعوة إلى عبادة الله الواحد القهار، وترك الظلم والطغيان، وثارت مناقشة حامية بين فرعون وموسى حول رسالة التوحيد التى حملها موسى إليه، وطبعا إستنكر فرعون هذه الدعوة، إذ كيف يجرأ موسى أن يدعى ذلك أمام فرعون مصر وهو إله وابن الإله آمون، ثم أنب موسى على ذلك مذكرا إياه بأنه هو الذى رباه وعلمه، وذكره بهروبه من العدالة بعد أن قتل مصريا، فكيف يجحد موسى كل ذلك ويتجرأ على فرعون ويطالبه بعبادة إله آخر غير آلهة مصر وهو يعلم أن فرعون نفسه هو إله وابن اله.

وهدد فرعون بسجن موسى إن هو تمادى فى هذا القول، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) ﴾ *(الشعراء ١٨-١٩)*.

ولكن موسى أخبر فرعون بأنه يملك الدليل على صدقه ويستطيع أن يقوم ببعض المعجزات الربانية أمامه، وهذه المعجزات لا يستطيع القيام بها إلا من أيده الله وكلفه بالرسالة، فرد عليه فرعون قائلا أرنا ما تدعيه إن كنت من الصادقين، فألقى موسى عصاه فتحولت أمام فرعون إلى ثعبان رهيب ثائر بث الرعب فى قلوب الحاضرين، ثم تناولها بيده ثانية فتحولت فى يده إلى عصاة من جديد، وأدخل موسى يده فى جيبه ثم أجرجها فإذا هى بيضاء ناصعة لها ضوء يخطف الأبصار، ثم وضعها فى جيبه وأخرجها فيه ثانيا فعاد لونها كما كان، ذهل فرعون كما ذهل جميع الحاضرين لهذا الإحتفال، ولكن فرعون أخرج نفسه من هذه الورطة التى وضعه فيها موسى بمعجزاته والتفت إلى قومه وقال لهم ان هذا الرجل ساحر ضليع فى فنون السحر ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ

أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ *(الشعراء ٣٤- ٣٥)* . شاور فرعون قومه فى الأمر وإستقروا على دعوة موسى وأخاه فى يوم الزينة وهو عيد شم النسيم، وأن يجمعوا السحرة من كل مكان فى مصر، وأن يحضر موسى وأخيه ويجروا مباراة فى السحر مع السحرة أمام جموع الشعب ليثبت هو فى تلك المباراة أن ما يقوم به موسى لا يعدو أن يكون ضربا من السحر لا أكثر، وحضر السحرة فى اليوم الموعود ومعهم جميع أدوات السحر، من العصى والحبال، وألقوا بها فى ساحة المباراة أمام الناس، فسحروا أعين الناس وظن الناس من سحرهم أن العصى والحبال قد تحولت إلى حيات تسعى، ثم جاء دور موسى وألقى عصاه التى تحولت الى ثعبان عظيم ضخم ثائر ابتلع كل الحبال والعصى التى ألقى بها السحرة، وترك فرعون ومن معه من جموع الشعب فى ذهول تام من هول ما حدث، وهنا نذكر دقة القرآن الكريم فى وصف تلك الواقعة ووصفه لفعل السحرة بأنه ليس إلا خداع بصرى كما يفعل السحرة اليوم من ألعاب تعتمد على خفة اليد والصنعة، وكانت النتيجة غير المتوقعة لهذه المباراة إيمان السحرة كلهم برب العالمين وجهرهم بإيمانهم دون أى خوف من فرعون، ثم قرار فرعون بإعدامهم جميعا وصلبهم على جذوع النخل، وثبات السحرة على إيمانهم وترحيبهم بالإستشهاد فى سبيل الحق، وفى النهاية أيقن موسى أن فرعون لن يسمح لأحد من رعاياه باعتناق دين التوحيد، ولن يسمح كذلك بخروج بنى إسرائيل من مصر بصحبة موسى إلى أرض فلسطين، فقرر موسى الخروج بقومه من مصر خلسة حتى لا يمنعهم فرعون.

- الخـــــروج -

يعتبر خروج بنى إسرائيل من شرقى الدلتا وعبورهم البحر إلى أرض سيناء بداية عهد جديد ومرحلة هامة من مراحل تكوين الشعب الإسرائيلى، بهذا الخروج إنتقلوا من عهود العبودية والذل والضلال إلى عهد الحرية والهدى، ولهذا خصصت التوراه سفرا هاما من أسفارها لهذه المناسبة المصحوبة بالمعجزات الربانية الخارقة هو (سفر الخروج)، ويعتبر يوم الخروج من أهم أعياد اليهود ويسمى هذا العيد بالعبرية «عيد الفصح» والفصح معناه العبور، وقد تم الخروج فى يوم ١٤ من شهر أبيب بالتقويم المصرى القديم، لذلك جعل اليهود هذا اليوم بداية للسنة اليهودية، ويقومون فيه بطقوس خاصة إبتدعوا فيها الكثير، وجاء وصف

هذه الطقوس فى «الإصحاح ١٢- خروج» ومن المعروف أن التوراه الأصلية كانت قد فقدت بعد هزيمة بنى إسرائيل وسبى شعبهم جميعه وترحيله إلى بابل، وعند إعادة كتابتها بعد ذلك بمئات السنين، حرف الكثير من أسفارها، وزيد عليه من الأفكار الوثنية للشعب البابلى الذى عاش بنو إسرائيل تحت أسره، ومن هذه الأساطير إضفاء الصفات البشرية على صفات الرب عز وجل أسوة بالآلهة الوثنية التى كان يعبدها البابليون، وعلى أى حال، فسوف نكتب هنا ما جاء فى إصحاح الخروج عن عملية الخروج وما تم قبلها من إستعدادات لهذا اليوم وما ورد فيها عن الله سبحانه وتعالى من أقاويل لا يصدقها عاقل، ويقال إن العدد الكلى لبنى إسرائيل عند خروجهم من مصر كان ٦٠٠ ألف نسمة، وبدأ الاستعداد للخروج قبل هذا اليوم بأربعة أيام حسب ما جاء فى التوراة، وذلك حينما إستأذن موسى من فرعون بالخروج مع شعبه إلى الصحراء للعبادة والدعاء إلى الرب ليكشف عن المصريين ما حل بهم من بعض الكوارث، وأوهم موسى فرعون بأنهم سيمكثون فى الصحراء أربعة أيام للعبادة، وننقل هذا ما جاء بشأن الخروج فى «الإصحاح ١٢- خروج» :-

(وكلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا:- «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور وهو لكم أول شهور السنة، كلما كل جماعة إسرائيل قائلين لهم فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، وإن كان البيت صغيرا عن أن يكون كفؤا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب النفوس شاة صحيحة ذكرا إبن سنة، تأخذونه من الخرفان أو الماعز ويكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم تذبحونه فى العشية، ويجمع دم الذبيحة فى طشت ويعمل من نوع من الحشائش شبه فرشاة وتدهن قائمتى البيت والعارضة العليا من الخارج بالدم») .

وجاء فى التوراة «خروج - ١٢: ٧» ما يلى **(ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلونه فيها)** وفى الفقرة ١٢ **(فإنى أجتاز أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم، ويكون الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر)** .

وفى الفقرة ٢٢: **(وخذوا باقة من نبات الزوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست»).**

وتعليقا على ما جاء فى التوراة بشأن هذا الإستعداد للخروج والكلام الذى ذكروه عن أمره سبحانه وتعالى لهم بطلاء عتبات البيوت العليا وقوائم الأبواب بالدم حتى يستطيع سبحانه وتعالى أن يميز بيوتهم عن بيوت المصريين عند ضربه لأبكار المصريين وأبكار مواشيهم فنقول:- هل الرب تعالت قدرته يحتاج لهذه العلامات الدموية ليميز بها بيوتهم وكأنه بشر يخطأ ويصيب؟ وكيف ينزل الرب بنفسه ويمر على البيوت ليضرب الأبكار فى بيوت المصريين ويترك البيوت التى صبغ الإسرائيليون عتباتها بالدم؟ سبحانه وتعالى عما يقولون وتعالى علوا كبيرا، أين هذا من التوحيد الخالص والتنزيه المطلق للخالق جل شأنه كما جاء فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام- ٥٩»، وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ صدق الله العظيم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ما هذه الطقوس الوثنية من ذبح للشياه وحفظ دمها فى الطسوت وتلطيخ البيوت به؟ ثم ما ذنب أفراد الشعب المصرى الذين لا حول لهم ولا قوة ولا دخل لهم فى ظلم فرعون لغيرهم، وهم كذلك أذلاء ضعفاء، ما ذنبهم حتى يقتل الرب أبكارهم وأبكار مواشيهم حتى تكون مصر كلها فى مأتم وحزن وعويل كما تقول التوراة بهذا الخصوص فى «سفر خروج ١٢: ٢٩».

(فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الأسير الذى فى السجن، وكل بكر بهيمة، فقام فرعون ليلا هو وعبيده وجميع المصريين، وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميتا، فدعا موسى وهارون ليلا (أى فرعون)، وقال فرعون أخرجوا من بين شعبى أنتما وبنو إسرائيل جميعا واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضا وبقركم وأذهبوا وباركونى أيضا، فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم وصروره فى ثيابهم على أكتافهم).

فأنظر معى، أى قسوة هذه القسوة التى تتمنى أن يكون شعب مصر كله فى مأتم، رغم أن النساء الإسرائيليات كانوا قد طلبن جاراتهن المصريات إستعارة حليهن الذهبية ليلبسنها أثناء توجههن إلى الصحراء للعبادة ثم يرجعنها إليهن بعد عودتهن، وهو مالم يحدث، فلو كان أفراد الشعب المصرى يكن لهؤلاء الإسرائيليين أى عداوة أو حقد ما قبلت المصريات إعارة حليهن الذهبية لنساء إسرائيل عن طيب خاطر وبساطة وحسن نية وزيادة فى الود والتسامح كعادة المصريين دائما حتى يومنا هذا، وهل تكافأ هاتيك النسوة على كرمهن وسماحتهن بموت أبكارهن وتحويل كل أرض مصر إلى مآتم؟ وهل هناك غدر أبشع من هذا الغدر؟.

وكذلك، ما هذه الطباع الدموية التى تجعل من الدم دليلا الى بيوت الإسرائيليين حتى يميزها الرب؟ ألم تكن هناك وسيلة أخرى لتمييز البيوت؟ وهل الرب سبحانه وتعالى محتاج لدليل يستدل به على بيوتهم حتى لا يخطؤها؟ وعليه نستطيع أن نقول ان هذه الروايات الدموية التى كتبها كاتبوا التوراة فى أثناء وجودهم فى الأسر البابلى هى البداية الى اعتناق اليهود بعد ذلك لمبادىء العنف الدموى والغدر، ولو كانت هذه الأمور قد حدثت أثناء الإستعداد للخروج لذكرها رب العزة فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وكما سبق لنا أن ذكرنا فإن الخروج قد تم فى شهر أبيب «يوم الرابع عشر وليلة الخامس عشر، وهو الشهر قبل الأخير من شهور السنة المصرية، وهو المقابل لشهر إبريل فى السنة الميلادية، وهذا اليوم هو عيد الفصح عند اليهود، لذلك جاء «فى سفر الخروج– ١٢: ١٥» **(هى ليلة (أى ليلة العيد) تحفظ للرب تذكارا، وتعبدونه عيدا للرب، فى أجيالكم تعبدونه فريضة أبدية، وهى ليلة تحفظ للرب لإخراجه إياكم من أرض مصر، هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى إسرائيل فى أجيالهم)**.

ويستمر عيد الفصح عند اليهود سبعة أيام من اليوم الرابع عشر حتى الحادى والعشرين، ويحرم فيه أكل خبز من عجين مخمر، بل يصنع فطير ويؤكل سبعة أيام العيد ويسمى عيد الفطيرة.

طريق الخروج وإجتياز بني إسرائيل للبحر:-

بعد أن إنخدع فرعون بحيلة موسى وأنه سوف يقود شعبه إلى البرية للقيام بالصلاة الى الرب عدة أيام ثم يرجع بهم إلى أرض جاسان التى كانوا يقيمون بها فى مصر (وهى مكان محافظة الإسماعيلية حاليا)، قام موسى بقيادة بنى إسرائيل فى طريق الخروج التى أوصى له بها الله سبحانه وتعالى، وكان تعداد بنى إسرائيل وقتئذ ٦٠٠ ألف، وخرجوا جميعا بصحبة أغنامهم ومواشيهم وساروا فى طريقهم إلى طرف خليج السويس حيث لا يتعدى عرض هذا الجزء من الخليج عشرة كيلومترات، وكان الخروج هذا فى فصل الصيف حيث تشتد حرارة الشمس، لذلك كان من رحمة الله بهم أن ظلل عليهم الغمام ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ﴾ *«الأعراف ١٦٠»*، وكان الغمام يظللهم أينما ساروا طوال رحلتهم إلى شاطىء خليج السويس التى إستغرقت نحو أسبوع، وتم كل ذلك بوحى من الله تعالى إلى موسى عليه السلام، ولكن كاتبوا التوراة إفتروا على الله فى هذه الواقعة إفتراء كبيرا، وكما سبق أن ذكرنا فإنهم كثيرا ما يضفون على الخالق جل وعلا من صفات البشر كما كان يفعل الوثنيون الذين كانوا يعيشون بينهم فى بابل فى فترة السبى البابلى، والتى أعادوا فيها كتابة التوراه، إذ يقول كاتبوا التوراة فى «سفر خروج ١٣ : ٢١»

(وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود من سحاب ليهديهم فى الطريق نهارا، وليلا كان على هيئة عمود من نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا).

فتأمل معى كيف ينزل الله سبحانه وتعالى من عليائه ويسير أمام هؤلاء عشرة أيام لكى يصلوا إلى شاطىء البحر ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾. *(الكهف ٥)*.

ولما وصلت الأخبار إلى فرعون بخديعة بنى إسرائيل له وخروجهم فى طريق شاطىء خليج السويس، شعر بغضب شديد، وأقسم أن يعيدهم ثانيا إلى مصر ويذيقهم العذاب الشديد، وأخذ بجمع جيشه ويستعد للزحف خلفهم، ويقول الله تعالى فى: «سورة الشعراء ٥٣– ٥٥» ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)

وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾. وخرج فرعون فى جنوده فى صبحة اليوم العاشر مع جيش كبير، مزود بعدد كبير من المركبات الحربية والخياله، وتقول التوراة فى «سفر خروج ١٤: ١٦».

(فشد مركبته وأخذ قومه معه، وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنود مركبية على جميعها، وأسرع جيش فرعون فى الزحف حتى قطعوا المسافة كلها فى يوم واحد، وأصبحوا على مرمى البصر من بنى إسرائيل، ففزع هؤلاء فزعا شديدا، وقالوا لموسىٰ إن القوم سوف يلحقون بنا، وأخذوا يلومون موسى على إخراجهم من أرض مصر)، وتقول التوراة فى ذلك فى «إصحاح ١٤ خروج: ١٠» **(فلما إقترب فرعون، رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم، ففزعوا فزعا شديدا، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور فى مصر فأخذتنا لنموت فى البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية، فقال موسى للشعب لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون. فقال الرب لموسى مالك تصرخ إلى. قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه. فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءكم فأتمجد بفرعون وكل جيشه ومركباته وفرسانه فيعرف المصريون أننى أنا الرب)**.

ويذكر القرآن الكريم إنشقاق البحر فى إعجاز شديد وبساطة مذهلة حيث يقول: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ *«الشعراء: ٦٢»*. ولكن كاتبوا التوراة رجعوا بعد ذلك وأوردوا فقرة لا يصدقها عاقل نقضت ما كتبوه فى الفقرات السابقة إذ جاء فى الفقرة «٢١ من سفر خروج» ما يلى:-

(ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب بريح شرقية شديدة طول الليل وجعل البحر يابسة، وإنشق الماء فدخل بنو اسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء وسور لهم عن يمينهم وعن يسارهم).

فكيف ينتظر بنو اسرائيل طوال الليل حتى تجفف لهم الريح مجرى فى البحر ولا تدفع الماء إلى الثورة وتحدث به «أمواجا شديدة» وهذه الفقرة العجيبة نقضت ما ذكر فى الفقرات السابقة من أمر الله لموسى بأن يضرب بعصاه البحر فينفلق فلقين.

سار موسى وقومه فى الطريق اليابس الذى شقه الله له فى قاع خليج السويس الى شاطىء سيناء قرب الفجر، وتبعهم فرعون وجنوده عند إنبلاج نور الصباح وساروا فى نفس الطريق بعرباتهم الملكية تتقدمهم عربة فرعون وتسير من خلفهم الخيالة حتى إذا توسطوا الخليج إنطبق عليهم الماء فأغرقهم أجمعين، ووقف موسى وقومه يشاهدون فرق فرعون وجيشه وما كان ليظنون أبدا أنه سوف يلاقى هذا المصير لولا تدبير المولى سبحانه وتعالى وحكمته، ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم فى وصف ما حدث ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٦٦) ﴾ «الشعراء ٦٤ : ٦٦»، وبعدها ينفرد القرآن الكريم بذكر معجزة أخرى كبرى حار المفسرون فى تفسيرها حتى تم الكشف عنها فى بداية القرن العشرين.

وقد ذكر القرآن الكريم محاولة فرعون الخداع والمراوغة حتى ينجيه الله تعالى من الغرق، اذ نطق فرعون وهو فى حالة الغرغرة بصيغة ملتوية يعلن بها إيمانه بإله بنى إسرائيل ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) ﴾ «يونس ٩٠-٩٢»، هذا ولم يقبل الله سبحانه وتعالى منه شهادته هذه بل أغرقه مع من معه، ثم أمر سبحانه البحر فألقى بجثته على الشاطىء. وقد حاول المفسرون الأقدمون للقرآن الكريم تفسير الآيتين السابقتين تفسيرا لم يكن أبدا مقنعا، فالبعض ذكر أن إلقاء البحر لجثة فرعون على الشاطىء آية لبنى إسرائيل

شـــكل ٣: مومياء رمسيس الثانى- منظر أمامى

شـــكل ٤: مومياء رمسيس الثانى- منظر جانبى وقد إرتفعت يده اليسرى إلى أعلا الدليل على المعجزة القرآنية.

الذين رأوا جيش فرعون وهو يغرق، ولكن هذا التفسير يشوبه القصور، فكيف يتسنى لبنى إسرائيل بعد أن عبروا البحر أن يروا جثة فرعون على الشاطىء الآخر، وتذكر الآية أن وجود جثة فرعون سوف تكون آية للأجيال التى تأتى بعد ذلك **(لتكون لمن خلفك آية)**، و الراجح أن المصريين نقلوا جثة فرعون من على شاطىء البحر وحفظوها كما كانوا يحنطون جثث الفراعين ثم دفنت فى مقبرة الدير البحرى بالصعيد وظلت هناك حتى تم إكتشافها فى سنة ١٩٠٢، ثم أودعت بعد ذلك فى المتحف المصرى بالقاهرة، ويذكر بعض المؤرخين أن خبير الآثار إبراهيم النواوى ذكر أنه بعد نقل مومياء رمسيس الثانى إلى متحف بولاق، قام بفك اللفائف الكتانية لإجراء الكشف الظاهرى على المومياء ولمعرفة ما يوجد تحت لفائف الكتان من تمائم أو جواهر ونمو ذلك، ولكن بمجرد فك لفائف الكتان القديمة، إرتفعت اليد اليسرى لرمسيس الثانى فجأة بمجرد فك اللفائف وهى حال غير مألوفة مما أصاب الحاضرين بالذعر والذهول، والوضع المألوف أن تبقى يد المومياء بعد فك اللفائف فى وضع متقاطع فوق صدرها، ودهش العلماء الأجانب الذين حضروا هذه الواقعة، إذ كيف ترتفع يد الملك إلى أعلى بعد أن تيبست عضلاته، وظل على هذا الوضع لمدة ثلاثة آلاف سنة، وكأن رمسيس الثانى يشير بيده إلى المعجزة القرآنية ويقول أنا المقصود بالآية التى ذكرها الله فى القرآن الكريم، وقد بقى بدنى لتشاهده الأجيال التى تأتى من بعدى وترى قدرة الله تعالى وكيف ينكل بالطغاة الظالمين مهما بلغت قوتهم وطال أمد طغيانهم ولكن الكثير من الناس قد غفلوا عن مغزى هذه الآية العظمى التى ذكرها القرآن الكريم قبل الكشف عن مومياء فرعون بأكثر من ثلاثة عشر قرنا، ومازال الكثيرون غافلون عن مغزى هذه الآية القرآنية العظمى **(وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** صدق الله العظيم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن غرق فرعون وجيشه كان فى عام ١٢٢٥ ق. م أى منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وأن عمر فرعون حينما غرق كان تسعون عاما قضى منها ٦٧ عاما فى حكم مصر.